

انتبه : الأشياء تبدو أقرب مما هي عليه



الأحد 19 يناير 2014 12:01 م

شيرين عرفة :

تلك العبارة الشهيرة التي عنونت بها مقالي ، هي التي نراها يوميا مكتوبة أسفل المرايا الجانبية للسيارة .. لتذكر قائدها الذي يريد أن يتجاوز السيارات التي تسير خلفه : بأن الأشياء في الواقع أقرب مما يراها هو في المرأة ، وما أحوالنا اليوم لأن نكتب تلك العبارة على أبواب بيوتنا وعلى حوائط شوارعنا لننبه الناس الذين فاض بهم الكيل ونقص صبرهم وانتهى أملهم من زوال الظلم الذي طم وعم مصر كلها ، و نذكرهم أنه مهما طال الزمن بدولة الظلم ستظل ساعة من التاريخ وستنتهي إن أجلا أو عاجلا ، وسيأخذ كل ظالم عقابه إن لم يكن في الدنيا ، سيكون حتما في الآخرة ، وكل ما هو آت فهو قريب ، وقد سألت قريش النبي (صلى الله عليه وسلم) عن العذاب واستعجلته إستهزاء وتعنتا ، فقال الله تعالى في محكم كتابه :

{ * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا } [المعارج 7]

إنه قانون الله الذي لا مبدل له ولا مغير لحكمته ، حتى ولو أمهل الله الظالم وأملى له ، فإنه الإستدراج لعذاب أشد . ففي قصة قوم نوح الفاسقين يزداد الظلم ويصل مداه ويتكبر الطغاة ويتجبروا وقد أمهلهم الله وأملى لهم ألف عام إلا خمسين حتى وصل الأمر إلى الاستهزاء بوعد الله ووعيده واستعجال العقوبة فيقولون لنبي الله نوح عليه وعلى نبينا السلام (يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [هود 32] لقد زين الشيطان للجبابرة سوء أعمالهم فنقلهم من محاربة أنفسهم ومحاربة الناس إلى محاربة الله وتحديه ، فأجابهم نوح بجواب المؤمن الواثق (إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) [هود 33] وما هي إلا أيام وليال حتى حقت على قوم نوح كلمة العذاب فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ وأراهم الله ما كانوا يوعدون ، يأتي إنتقام الله من الظالم و تحقيقه دعوة المظلوم في الساعة التي يريدتها هو و قد يؤجلها لحكمة يعلمها ..إنه الحكيم الخبير ، ولكن تبقى دعوة المظلوم لا ترد حتى ولو أتت من كافر فقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا، فإنه ليس دونها حجاب) ، وقد ورد في حديث قدسي أن الله سبحانه وتعالى حينما يرى عبده المظلوم ليس له من يعينه إلا الله ، يقسم بذاته القديرة :

(وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين)

وهذا الحين هو الفاصل بين الظالم وبين قصم الله ظهره ، وجعله آية وعظة وعبرة للعالمين ..

وفي عصرنا الحديث نرى قصة اللواء (حمزة البسيوني) خير مثال على قصم الله لظهور الجبابرة والطغاة مهما طال بهم الأمد ، إنه الضابط الذي تخرج في الكلية الحربية وانضم إلى تنظيم الضباط الأحرار ليشترك في ثورة 23 يوليو 1952 وهو برتبة رائد ، ثم عينه جمال عبد الناصر (مديرا للسجن الحربي ، ذلك السجن الذي كان مجرد ذكره يصيب المواطنين المصريين بالهلع لما عرف عنه من التفنن في ألوان التعذيب و كان يمارس ضد كل إنسان مشكوك في ولائه لنظام العسكر بقيادة (عبد الناصر) ، لقد كان (حمزة البسيوني) عنيفا شرها لممارسة التعذيب والتفنن فيه ، وقيل انه كان يدفن المعتقلين أحياء في الصحراء المجاورة للسجن الحربي . ومما اشتهر عنه كذلك أن المعتقلين والمعذبين كانوا يقولون يا رب يا رب أثناء التعذيب ، فكان يقول لهم : لو أتى ربكم هذا لوضعتهم معكم في السجن .

ويحكى أحد معتقلي السجن الحربي و هو الداعية الحاج (أحمد أبو شادي) وهو من الذين قضوا جزء كبيرا من أعمارهم في السجون أثناء الستينات بسبب انتماءه الفكري للإخوان المسلمين فيقول : ((كان الطاغية مدير السجن الحربي قد نهانا في رمضان أحد الأعوام عن صلاة القيام وإلا تعرضنا للتعذيب والتنكيل ولكننا كنا نحتال عليه وعلى السجانين فكانا نصلي كل مجموعة في زنزانته بصوت خفيض .. وفي يوم فاض بنا الكيل وثار بعضنا وصممنا على أن نصلي جهره ونسمع الحراس صوت صلاتنا وعندما وصل خبرنا في اليوم التالي للطاغية قام بتكديرنا وتعذيبنا بكل أشكال التعذيب التي يتصورها العقل والتي لا يتصورها حتى كدنا أن نهلك وهنا صاح أحدنا بصوت جهوري يملؤه اليقين بالله : والله يا أيها الظالم إن الله سيقطص منك وسيسفعك على ناصيتك .. وهنا قال له الطاغية الظالم : ماذا تقصد ؟ فقال له الأخ - وقد كان فلاحا من إحدى قرى محافظة الجيزة - ألم تسمع قول الله سبحانه وتعالى (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى) فقد قال الله بعدها (كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) [سورة العلق 9_15]

وقد صوّر الشيخ العلامة "يوسف القرضاوي" (حمزة البسيوني) وذكرياته مع السجن الحربي في قصيدة قال فيها :

من ظنَّ قانونًا هناك فإنما
قانوننا حمزة البسيوني
جلاد مصر الغرّ رمز عذابها
أسموه زورًا قائدًا لسجون
الشر يتبعه كظله كلما
وافى إلينا الحين بعد الحين
كالذئب تشفيه الدماء إذا جرت
ولربما الذئب فيه بعض حنين
وتمر الأيام والسنون

وتأتني نكسة 67 ثم تصدر القرارات بتصفية رجال (عبد الحكيم عامر) و إحالة البسيوني علي المعاش ثم القبض عليه والتحقيق معه فيما
هو منسوب اليه من انحرافات, ووُضع مع بعض ضحاياه في سجن القلعة ,
و قد بقي في السجن عامين , ويقول الكاتب الصحفي (صلاح عيسى) (والذي التقى حمزة البسيوني وهو مسجون في سجن القلعة
عام 1968)

: « شاهدت رجلا عجوزا شعره ابيض كالثلج يمشي في ضعف وإنكسار وأمامه مخبر يصرخ فيه ليحث الخصى , و ذات ظهيرة انتهز فرصة
مروره أمام زنزانتتي , ليقول لي بصوت هامس: أنا اللواء حمزة البسيوني... أنت مين؟ وقبل ان أفيق من دهشتي , دهمنا صوت المخبر,
وهو يصيح فيه: امشي من سكات , فإذا به يستجيب للإنذار بخوف شديد , حينها تتابعت على شاشة رأسي صور خاطفة لمشاهد مما
سمعتة من المعتقلين عما فعله بهم حمزة البسيوني, سياط تمزق جلودا وصفعات تصافح أصداءا وقبضات تعوج أفكاك, وأجساد تسحل
بجبال خشنة على أرض صخرية, يا أَلطاف الله الخفية, أهذا الرجل المنكسر الضعيف هو اللواء (حمزة كينج كونج) الذي يزدحم ملفه بكل
تلك المشاهد التي لا يتحمل أي انسان مجرد رؤيتها !! الرجل الذي كان مديرا للسجون الحربية يتحول إلى هذا المسجون الذي يبدو كفأر
مذخور .

وبعد خروجه من السجن ظل حمزة البسيوني غائبا عن الاضواء
حتى جاء يوم 19 نوفمبر عام 1971 وكان موافقا لاول أيام عيد الفطر المبارك كان حمزة مسافرا من الاسكندرية الي القاهرة ومعه
شقيقه راكبا الي جواره واصطدمت سيارته باحدي السيارات المحملة بحديد مبان ومات حمزة وشقيقه وتعرضت جثته لتشويه غريب نتيجة
دخول عدد من الاسياخ الحديد فيها .

وينقل لنا المستشار (خيرى يوسف) رئيس محكمة الاستئناف السابق ما حكاه بشأن معاينته لجثة حمزة البسيوني حيث يقول عن الحادثة
" كانت حادثة مروعة وكنت وقتها رئيسا لإحدى النيابة في محكمة كلية وخرجنا أنا وزميل لي في مهمة قضائية لمعاينة الحادث .. ودلت
المعاينة وشهادة الشهود علي أن سائق السيارة القاتل كان يقود سيارته بسرعة غريبة وكانت أمامه سيارة نقل مُحملة بأسياخ الحديد
التي تتدلي من مؤخرة السيارة ودون أن يتنبه استمر في سرعته حتي اصطدم بالسيارة النقل وحينها اخترقت أسياخ الحديد ناصية القاتل
ومزقت رقبته وقسمت جانبه الأيمن حتي انفصل كتفه عن باقي جسده " , وبتأثر واضح قال المستشار خيرى : "لم أستطع مشاهدة الجثة
فقد وقعت في إغماءة من هول المنظر وقام زميلي باستكمال مشاهدة الجثة "

مات حمزة البسيوني بعد أن سفع الله ناصيته وجعل موته عبرة لمن يعتبر

فلا نشغل أنفسنا بنهاية الظالمين , فهي قدر محتوم , حتى ولو اختلفت على مدار التاريخ , قال تبارك وتعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ فَمِنْهُمْ
مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت:40]

و لنشغل أنفسنا فقط بالثبات على الحق و السير في طريق نصرته , ليس المهم أن نصل , ولكن المهم أن نمت ونحن على الطريق ...
اثبتوا وابشروا ..اليأس خيانة والإنقلاب إلى زوال .

shireen.3arafah@gmail.com

<https://www.facebook.com/shireenhaytham>